

رامس المثلث

لحضرة صاحب العزة الأستاذ أنطون الجميل بك
رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء

ما كادت مصر في الربع الثاني من هذا القرن ، تعرف بعض الاستقرار من الوجهة السياسية ، حتى تفلتت الى حالتها الاجتماعية فيها لما رات من أمراض متوطنة تستنزف حيوية الأمة مع ندرة المستشفيات ، ومن جهل مطبق على تسعين في المئة من السكان مع قلة ماهد التعليم ، ومن فقر مدقع يعض بنايه الملايين مع انعدام مؤسسات البر والإحسان . رأى المعمرون وقادة الرأي هذه الحالة المرؤعة ، فأيقنوا أن كل نجاح في ميدان السياسة ذاهب هباء ما دام لا يدعمه رفق اجتماعي ونهوض اقتصادي . فهبوا ينشرون الدعوة الى إنشاء المستشفيات والمستوصفات ، والى فتح المدارس وتقرير التعليم الإلزامي وفقا لأحكام الدستور ، والى تأليف جمعيات البر والتعاون . وأخذت الحكومات المتعاقبة تلبى رغبات البرلمان ، فتريد سنة بعد سنة قيمة الاعترادات في الميزانية لهذه المذنآت . ولكنها كانت خطوات وثيدة مترددة ، هيات أن تعوض بها ما فات في الزمن الغابر لتلتحق بركب الانسانية السائر الى الأمام ، وقد تخلفنا عنه مدة طويلة .

وفي سنة ١٩٣٩ أنشئت "وزارة الشؤون الاجتماعية" فكان إنشاؤها محل نقد المتعثرين الرجعيين ، بل إن أصواتا قد ارتفعت في البرلمان نفسه بطلب إلغاء الوزارة الجديدة ضنا بالاعتادات الضئيلة المحصنة لنا . وهكذا ما كادت صفرى وزاراتنا تبصر النور حتى أراد كثيرون وأدها في مهدها ، لولا أن قبض الله لها من كفلها وصانها ، فعاشت ، وظلت سنتين من الزمن ، زمن الطفولة ، تحبب وتحاول الوقوف . وما أن ثبتت على قدميها حتى بدأت تسير بخطوات واسعة نحو الإصلاح المنشود ، وغدت اليوم من أوسع وزاراتنا عملا ، وأبعدها نفوذا ، وأعمقها أثرا ، في نهضة . فدللت على أن الفكرة التي قامت بإنشائها كانت فكرة صائبة موفقة .

وليس اليوم مجال عرض ما قامت به وزارة الشؤون الاجتماعية من مشروعات نافعة . ولكننا ننف عند آخر مشروع نصبت نفسها لتحقيقه ، وهو مشروع "مكافحة الأمية" وقد كان لي شرف العضوية في اللجنة التي ألفتها الوزارة لوضع أسس هذا المشروع ، وهو مشروع قد يتعثر في بداية تنفيذه ، ولكن الأيام ستحقق ما يربح منه من خير عظيم وإصلاح شامل ، فيقوم قريبا الدليل القاطع على أنه أخطر مشروع أقدمت عليه الحكومة ، بعد مشروع التعليم الإلزامي ، من حيث أثره البعيد في نهوض الاجتماعى .

أجمع الباحثون في علنا الاجتماعية على أن هذه العلة في نهاية الأمر تتركز في مثلث ، قامت جميع الآفات التي تشكو منها على زواياها الثلاث ، وهي المرض ، والفقر ، والجهل . ولا شك في أن رأس هذا المثلث هو الجهل . فإتنا هيئات أن تقوى على استئصال المرض من جسم المريض ، وعلى توفير أسباب الرزق له ، ما دام الجهل يسيطر عليه ويضرب حجبا على قلبه وعقله ، فلا يلبث أن يعود إلى مرضه وينشره حوله ، ولا بد من أن بظل يتسكع في فاقته وعوزه يقاسى مرارة الحرمان .

وهذا ما أقنع الوزارة بوجود مكافحة الأمية ، وهذا ما حداها إلى تنفيذ هذا المشروع دون تلكؤ .

قابل البعض هذا المشروع ، كما قابل أمثالهم من قبل مشروع إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية ، بابتسامة يمازجها كثير من الشك وكثير من الاستهزاء . ولكنه سيحبو ويتثر ، ثم يقف على قدميه ويسير قدما إلى الهدف النبيل المرسوم له .

ذالك أن مكافحة الأمية والجهل هي دون سواها السبيل إلى معالجة أمراضنا الاجتماعية . ومن ثم إلى السير في طريق الفلاح والنجاح .

لا نستطيع التغاب على المرض والفقر إلا إذا حاربنا ، ونحن نحاربهما ، الجهل أصل المرض ومصدر الفقر .

جبهات ثلاث نحن مضطرون إلى خوض ميادينها لإخرز النصر ، ولكن جبهة الجهل أشدها خطورة ، لأنها هي التي تمد جبهة الفقر ، وهي التي تغذى جبهة المرض ، وما دمنا لم نحزز النصر النهائي فيها ، فكل انتصار في الجبهتين الأخرين انتصار وقى بمقبه انكسار وتليه هزيمة .

الجهل ، والمرض ، والفقر ... مثلث يجب أن نهدم رأسه لتمكن من تقويض ركنيه وإلا أنفقنا الجهود والمال سدى .

في أساطير قدماء الإغريق أنه كان في مدينة "ليرن" تين هائل ذو تسعة رؤوس ينفث من كل منهما اللمب القاتل والسم الزعاف . وعينا حاول الحكاة قتله ، إذ كان ينبت له بدل كل رأس يقطعونه رأسان ، إلى أن جاء البطل الجبار "هراقلين" فأوقد النار في العابة التي كان يعيش فيها ذلك الوحش العاتى ، وأخذ يجتث رؤوسه ويلقيها في النار ، فيتحول رمادا تذروه الرياح ، إلى أن أتى عليها جميعا ، فتمضى على التين وأنقذ الناس من شره . . .

وظلت حكاية "هراقلين" هذه مثلا يضربه الغربيون في استئصال الداء من شاقته واقتلاع الشر من حرثومته .

ولا شك في أن مكافحة الأمية هي ضربة الجبار "هراقلين" التي نوجهها اليوم إلى الجهل ، رأس مثلث آفاتنا الاجتماعية . فإذا هدمناه قوضنا ركني المثلث من مرض وفقر ، وشيدنا صرح ههضة صادقة تقوم على مثلث آخر ، رأسه المعرفة وركناه الصحة والرخاء .

أنطون الجميل